

## اللهجات العامية الحديثة عوامل تطورها وصفاتها المشتركة

للدكتور علي عبد الواحد وافي

أستاذ الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

— ١ —

تقتضى نواميس اللغات أنه متى انتشرت اللغة في مناطق واسعة من الأرض ، وتكلم بها طوائف مختلفة من الناس ، استحال عليها الاحتفاظ بوحدها الأولى أمداً طويلاً ، بل لا تلبث أن تنسحب إلى لهجات ، وتسلك كل لهجة من هذه اللهجات في سبيل تطورها منهجاً يختلف عن منهج غيرها ، ولا تنفك مسافة الخلف تلح بينها حتى تصبح كل منها لهجة متميزة غير مضمومة إلا لأهلها . وبذلك يتولد من اللغة الأولى فصيلة أو شعبة من اللهجات يختلف بعضها عن بعض في كثير من الوجوه . ولكنها تظل مع ذلك متفقة في وجوه أخرى ، إذ يترك الأصل الأول في كل منها آثاراً تنطق بما بينها من سلات للقرابة ولحمة النسب اللغوي . وكثيراً ما يبقى الأصل الأول مدة كبيرة لغة أدب وكتابة بين الشعوب الناطقة باللهجات المتفرعة منه

ولهذا القانون خضعت اللغات الإنسانية من مبدأ نشأتها إلى العصر الحاضر . فاللغة اللاتينية مثلاً — وهي إحدى لغات الفرع الإيطالي من الفصيلة الهندية — الأوربية ، قد أخذت في أواخر المصور القديمة وفي المصور الوسطى تنسحب إلى عدد كبير من اللهجات ، وأخذت كل لهجة من هذه اللهجات تسلك في سبيل تطورها منهجاً يختلف عن منهج غيرها ، حتى أصبحت كل منها لغة متميزة مستقلة غير مضمومة إلا لأهلها . وقد بقيت لللاتينية مدة كبيرة لغة أدب وكتابة بين الشعوب الناطقة باللهجات المتفرعة منها ( الفرنسية ، الإيطالية ، الإسبانية ، البرتغالية ، لغة رومانيا ... ) . ولكنها تنحلت عن هذه

الوظيفة بعد أن اكتمل نمو هذه اللغات (١) ...

ولم تغلق اللغة العربية — وما كان يمكن أن تغلق — من هذا المصير ؛ فنجد أن اتسع انتشارها ، أخذت تنسحب إلى لهجات يختلف بعضها عن بعض وتختلف عن الأصل الأول الذي انشبت عنه في كثير من مظاهر الصوت والقواعد والدلالة والفردات ؛ وسلكت كل لهجة منها في تطورها منهجاً يختلف عن منهج غيرها ، تحت تأثير ظروفها الخاصة ، وأخذت مسافة الخلف تلح بين هذه اللهجات ، حتى أصبح بعضها غريباً عن بعض : فلهجة العراق أو لهجة المغرب مثلاً في العصر الحاضر ، لا يفهمها المصري إلا بصنوبة وفي سورة تقريبية . غير أنه قد خفف من أثر هذا الاتقسام اللغوي بقاء العربية الأولى بين هذه الشعوب لغة أدب وكتابة ودين

ويرجع السبب في انشباب هذه اللهجات عن العربية الفصحى وفي تطورها المعطرد في نواحي : الأصوات والقواعد والدلالة والفردات ، إلى عوامل كثيرة من أهمها ما يلي :

١ — انتشار اللغة العربية في مناطق لم تكن عربية اللسان فقد تغلبت اللغة العربية على اللغات الجنية القديمة في معظم بلاد اليمن ، وعلى اللهجات الآرامية في العراق والشام ، وعلى الألسنة القبطية والبربرية والسكوشية في مصر وشمال أفريقيا وشرقها . ومن المقرر أن اللغة النالبة ينالها كثير من التعريف في ألسنة المحدثين من الناطقين بها ( الملوين لنوباً ) تحت تأثير لهجاتهم القديمة وأصواتها ومفرداتها وما درجوا عليه من طادات في النطق وهم جراً ...

وقد كان لهذا العامل أثر واضح في اختلاف اللهجات هذه المناطق الجديدة بعضها عن بعض ، واختلافها عن اللسان العربي الأول . فقد تأثرت اللغة العربية في كل منطقة من هذه المناطق بلهجاتها القديمة ، وانحرفت في ألسنة أهلها انحرافاً خاصاً اقتضته عاداتهم الصوتية المتأصلة ومناهج ألسنتهم الأولى ؛ وتأثرت ألسنة الجاليات العربية نفسها في كل منطقة من هذه المناطق بألسنة أهلها ، فنشأ من جراء ذلك في كل بلد من هذه البلاد لهجة

(١) أنظر تفصيل هذا القانون في الفصل الخامس من كتابنا « علم اللغة »

واستعدادها ومنهج أدائها لوظائفها . فحناجرنا وحبالنا للصوتية  
والسنتنا وحلوقنا وسائر أعضاء نطقنا تختلف عما كانت عليه  
عند آباؤنا الأولين ، إن لم تكن في تكوينها الطبيعي ، فقل الأقل  
في استعداداتها ؛ بل إنها لتختلف عما كانت عليه عند آباؤنا  
الأفريقيين<sup>(١)</sup>

وغنى عن البيان أن كل تطور يحدث في أعضاء للنطق أو في  
استعدادها يتبمه تطور في أصوات للكلمات ، فنحرف هذه  
الأصوات عن الصورة التي كانت عليها إلى صورة أخرى أكثر  
منها ملاءمة مع الحالة التي انتهت إليها أعضاء للنطق . فكان  
من المستحيل أن تجمد ألفاظ اللغة للمربية على حالتها الأولى  
في الأم للناطقية ؛ ولم يكن مفر من أن ينالها كثير من التطور  
باختلاف المصور . ومن آثار هذا ما حدث في اللغة للمربية  
بصدد أصوات الجيم والثاء والذال والظاء والقاف . فقد أصبحت  
هذه الأصوات ثقيلة على اللسان في كثير من البلاد العربية ،  
وأصبح لفظها على الوجه الصحيح يتطلب تلقيناً خاصاً ومجهوداً  
إرادياً وقيادة مقصودة لحركات الخارج . ولعدم ملاءمتها مع  
الحالة التي انتهت إليها أعضاء للنطق في هذه البلاد أخذت تتحول  
منذ أمد بعيد إلى أصوات أخرى قريبة منها<sup>(٢)</sup> ، فصوت الجيم  
الذي كان ينطق به مطعشاً بعض التتمطيش في العربية الفصحى  
قد تحول في معظم المناطق المصرية إلى جانف (جيم غير مطعشة) ،  
وفي معظم المناطق السورية واللبنانية إلى جيم مطعشة كل التتمطيش  
(J)<sup>(٣)</sup> ، والثاء قد تحولت إلى تاء في معظم المناطق المصرية وفي  
بلاد أخرى فيقال : (توب . تلج . تخين . ثعلب . ثعبان . ثقل .  
ثليل . ثلث . ثلاثة . تمن . ثمانية . تور . اثنين . تتر . جثة .  
عثة . عتر ... الخ . بدلاً من : ثوب . تلج . تخين . ثعلب .  
ثعبان . ثقل . ثليل . ثلث . ثلاثة . ثمن . ثمانية . ثور . اثنان .  
ثر . جثة . عثة . عتر ... الخ)<sup>(٤)</sup> . والذال قد تحولت في كثير

عربية تختلف عن لهجة غيرها ، وتختلف عن اللغة العربية الأولى  
قاليرية في الشام مثلاً متأثرة بالألسنة الآرامية القديمة ، وفي  
المغرب باللهجات البربرية التي سرعتها العربية في هذه البلاد ...  
وهلم جراً ...

٢ - عوامل اجتماعية سياسية : كاستقلال البلاد العربية  
بعضها عن بعض ، وضعف السلطان المركزي الذي كان يجمعها  
ويوثق ما بينها من علاقات . فن الواضح أن انقسام الوحدة  
السياسية يؤدي إلى انقسام في الوحدة الفكرية والنوعية

٣ - عوامل اجتماعية نفسية تتمثل فيما بين سكان هذه  
المناطق من فروق في النظم الاجتماعية والعرف والتقاليد والعادات  
ومبلغ الثقافة ومناحي التفكير والوجدان ... وما إلى ذلك ، فن  
الواضح أن الاختلاف في هذه الأمور يتردد صداه في أداة للتعبير

٤ - عوامل جغرافية تتمثل فيما بين سكان هذه المناطق  
من فروق في الجو وطبيعة البلاد وبيئتها وشكلها وموقعها ... وما  
إلى ذلك ؛ وفيما يفصل كل منطقة منها عن غيرها من جبال  
وأهوار وبحار وبحيرات ... وهلم جراً . فلا يخفى أن هذه الفروق  
والفواصل الطبيعية تؤدي - عاجلاً أو آجلاً - إلى فروق  
وفواصل في اللغات

٥ - عوامل شعبية جنسية تتمثل فيها بين سكان هذه  
المناطق من فروق في الأجناس والخصائص الإنسانية التي ينتمون  
إليها والأصول التي انحدروا منها . فن الواضح أن لهذه الفروق  
آثاراً بليغة في تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات ولغات

٦ - إختلاف أعضاء النطق باختلاف الشعوب . فن المقرر  
أن هذه الأعضاء تختلف في تكوينها واستعدادها ومنهج تطورها  
تبعاً لاختلاف الشعوب وتنوع الخواص الطبيعية المزود بها كل  
شعب والتي تنتقل بطريق الوراثة من السلف إلى الخلف<sup>(١)</sup> . فلم  
يكن مناص إذن أن تختلف أصوات لهجات العربية بعضها عن  
بعض باختلاف الشعوب التي انتشرت فيها ، وأن تتجه كل لهجة  
منها في تطورها من هذه الناحية إلى منهج يختلف عن منهج غيرها

٧ - التطور الطبيعي المترد لأعضاء النطق . فن المقرر أن  
أعضاء للنطق في الإنسان في تطور طبيعي مترد في تكوينها

(١) أنظر تفصيل هذا الموضوع في كتابنا « علم اللغة » ص ٢٧٤  
وتواهبها .

(١) أنظر تفصيل هذا الموضوع في كتابنا « علم اللغة » ص ٢٧٠ وتواهبها  
(٢) يعنى كذلك أن بعضها كان متحولاً إلى هذه الأصوات في بعض  
القبائل العربية التي انتقلت لهجتها إلى هذه الأم .  
(٣) لا يزال ينطق بصوت الجيم تطلقاً صحيحاً في طامية المراق وبعض  
للمناطق المصرية وخاصة في مديرية الغربية  
(٤) تحول هذا الصوت في كلمات قليلة إلى سين أو صاد : « ثواب »  
تطلق أحياناً « سواب » أو « سواب » .

العامية المنسوبة عن العربية ؛ على حين أن الإعراب بالحروف ، لعدم تأثره بهذا العامل ، قد بقيت آثاره في اللهجات العامية : ( أخوك ، أبوك ، المؤمن ، الطيبين ... الخ )

٩ - موقع الصوت في الكلمة . وموقع الصوت في الكلمة

يعرضه كذلك لكثير من صنوف التطور والأحرف

(١) وأكثر ما يكون ذلك في الأصوات الواقعة في أواخر

الكلمات سواء أ كانت الأصوات أصوات مد أم أصواتاً ساكنة

أما أصوات المد ، فقد لوحظ أن وقوعها في آخر الكلمة

يجعلها في الغالب عرضة للسقوط ، ويؤدي أحياناً إلى تحولها

إلى أصوات أخرى . وقد كان لهذا العامل أثر كبير في سقوط

أصوات المد القصيرة المسماة بالحركات ( التي يرز إليها في الرمز

العربي بالفتحة والكسرة والضمة ) التي تلحق أواخر الكلمات

العربية . ففي جميع اللهجات العامية المنسوبة عن العربية (عاميات

مصر والمراق والشام وفلسطين والحجاز واليمن والمغرب ... الخ )

قد انقرضت هذه الأصوات جميعها ، سواء في ذلك ما كان منها

علامة إعراب وما كان منها حركة بناء . فينطق الآن في هذه

اللهجات بجميع الكلمات مسكنة الأواخر (فيقال مثلاً : « رجع

عمر » للمدرسة بعد ما خف من عيابه » بدلاً من « رجع عمر

إلى المدرسة بعد ما خف من إعيائه » . ولعل هذا هو أكبر

انقلاب حدث في اللغة العربية ؛ فقد أتى جميع الكلمات فانتقصها

من أطرافها ، وجردها من العلامات الدالة على وظائفها في الجملة ،

وقلب قواعدها القديمة رأساً على عقب

ومن هذا القبيل كذلك ما حدث في اللغة العربية بصدد

أصوات المد الطويلة : ( الألف والياء والواو ) الواقعة في آخر

الكلمات ، فقد تضادت هذه الأصوات في طائفة المصريين

وغيرهم حتى كادت تنقرض تمام الانقراض ، سواء في ذلك

ما كان منها داخلًا في بنية الكلمة ( رمي ، برى ... الخ

وما كان خارجاً عنها ( ضربوا ، ناموا ... الخ ) ، فيقال مثلاً

في طائفة المصريين : « رام وعيسى ومصطفى أب حسين سافر

يوم الخميس لـجرج » بدلاً من : « رام وعيسى ومصطفى

أبو حسين سافروا يوم الخميس إلى جرجا »

وما حدث في اللغة العربية تحت تأثير هذا العامل ، حدث

مثله في كثير من اللغات الأخرى . فمعظم أصوات الين المتطرفة

من المناطق العربية إلى دال في معظم الكلمات ، فيقال : ( داب .

دراع . ديب . ده . دى . دبل . دبح . دبان . دان . أداب .

ودن . ذهب . ديل ... الخ . بدلاً من : ذاب . ذراع . ذئب .

ذا . ذى . ذبل . ذبح . ذبان . ذقن . أذان . أذن . ذهب .

ذبل ... الخ ) ؛ وإلى زاي في بعض الكلمات ، فيقال مثلاً :

( زنب . زهن . زكي . زر . رزاة ... الخ ؛ بدلاً من : ذنب .

ذهن . ذكي . بذر . رذالة ... الخ ) . والظاء قد تحولت إلى ضاد

في معظم الكلمات ؛ فيقال : ( ضلام . ضفر . ضل . ضهر . الخ .

بدلاً من ظلام . ظفر . ظل . ظهر ... الخ ) وإلى زاي مَفْخَمة

في بعض الكلمات ( كما ينطق في عامية المصريين بكلمات : ظالم .

ظريف . أظن . حظ ... الخ )<sup>(١)</sup> . وللقاف قد تحولت إلى همزة

في بعض الكلمات المصرية ، فيقال : ( أط . ألت . أبل . عاد .

نطأ ... الخ ؛ بدلاً من : قط . قلت . قبل . عقد . نطق . الخ ) ؛

وإلى جاف ( جيم غير معطشة ) في معظم اللهجات العامية في مصر

وغيرها من البلاد العربية ، فيقال : ( جط . جلت . جبل . مجد .

ينطج ... الخ ) ؛ بدلاً من : قط . قلت . قبل . عقد . نطق . الخ )<sup>(٢)</sup>

٨ - الأخطاء الحممية وسقوط الأصوات الضميمة . قد

يحيط بالصوت بعض مؤثرات تعمل على ضعفه بالتدرج ، كوقوعه

في آخر الكلمة ، وزيادة عن بنيتها ، وعدم توقف المعنى المقصود

عليه ؛ فيتضائل جرسه شيئاً فشيئاً حتى يصل في عصر ما إلى

درجة لا يكاد يبينه فيها السمع ؛ فينثد يكون عرضة للسقوط .

وذلك أن معظم الصغار في هذا العصر لا يكادون يبينونه في نطق

الكبار ؛ فينطقون بالكلمات مجردة منه<sup>(٣)</sup> .

وقد كان لهذا العامل ، مع عوامل أخرى سيأتي ذكرها ،

أثر كبير في سقوط علامات الإعراب بالحركات من جميع اللهجات

(١) لا يزال بأصوات الاء والظاء والقاف نطقاً صحيحاً في طائفة المراق

والنرب وخاصة في طرابلس وفي الفياض العربية النازحة إلى مصر ( القوايد

الرماح ، البرامسة ، أولاد طي ، المرابي ، الضفاه ، محالوس ... الخ .

(٢) لا يزال صوت القاف محفوظاً بنطقه الصحيح في كثير من الكلمات

في طائفة المراق وطائفة رشيد . وكان مستصلاً منذ عهد غير بعيد في بعض

مناطق بني سويف ؛ وقد سمعت أنا نفسي بعض شبوخ أمرني ( يعلنة

الحمام سر كز بن سويف ) يتكلمون بالقاف ؛ ولا يزال العامة في هذه

المناطق يتكلمون بالقاف حيناً يروون عبارة منسوبة إلى أجدادهم في الأماصيص

الحممية وما إليها ؛ وهذا يدل على أن صوت القاف لم يتلغص إليهم

إلا منذ أمد قريب .

(٣) أنظر تفصيل هذا العامل في كتابنا « علم اللغة » ص ٧٨ وتوابعها

راس ، فاس ، فال ، ضاني ... الخ بدلاً من : رأس ، فاس ،  
فال ، ضان ... الخ )

ومن هذا القبيل كذلك ما حدث بصدد الياء والواو  
للساكتين في وسط الكلمة في مثل «عين» و «يوم» . فقد  
تحولتا في بعض المناطق المصرية وغيرها إلى صوتين من أصوات  
المد ، فأولها تحول إلى صوت يشبه صوت «ع» في اللغة  
الفرنسية ( عين ، خيل ، بين ، زينب ... الخ ) ، وثانيهما تحول  
إلى صوت يشبه صوت «و» للفرنسي ( يوم ، نوم ، فوز ،  
لوم ... الخ )

ومن ذلك تحريك الحرف الساكن إذا وقع في وسط كلمة  
ثلاثية في كثير من لهجات البلاد العربية ( عامية للشرقية ،  
وبعض عاميات الصعيد ، ولهجات القبائل العربية النازحة  
إلى مصر ، ولهجة العراق ... الخ ؛ فيقال مثلاً : إيسم ، رسيم ،  
ميمصر ، جرن ، بدر ، فجيل ، فجل ... الخ ، بدلاً من  
اسم ، رسم ، مسر ، جرن ، فجل ، فجل ... الخ )<sup>(١)</sup>  
وقد سجل الباحثون ظواهر كثيرة من هذا القبيل  
في اللغات الهندية الأوربية<sup>(٢)</sup>

(ج) ووقوع الصوت في أول الكلمة يجعله كذلك  
عرضة للانحراف . فمن ذلك ما حدث في بعض الفدرات العربية  
الفتحة بالهمزة ؛ إذ تحولت همزتها في بعض اللهجات العامية  
إلى فاء أو واو ( «أذن» تحولت في عامية المصريين إلى  
«ودن» و «أبن» تحولت إلى «فين» أو إلى «وين»  
في عامية القبائل العربية النازحة إلى مصر ، وفي عامية العراق  
والحجاز ؛ و «أدى» تحولت في بعض للمواضع في عامية  
المصريين إلى «ودى» فيقال مثلاً : «وداه المدرسة» بمعنى  
«أدى به إلى المدرسة» أي أوصله إليها<sup>(٣)</sup>

وسنعرض لبقية هذه العوامل في الفقرات التالية إن شاء الله

على غير الرامد والحق

ليسانسيه ودكتور في الآداب من جامعة السربون

- (١) هذه كذلك لهجة قديمة من لهجات بعض القبائل العربية .
- (٢) أنظر تفصيل هذا الموضوع بكتاني «علم اللغة» ص ٢٨٨ .
- (٣) ليس هنا مقصودنا على الفئات العامية ، بل يوجد له نظير في  
اللهجات العربية . ففي لغة لأهل اليمن تبدل الهمزة واوا في مثل «أبنته»  
فيقال مثلاً : وأبنته على الأمر مواتة ، وهي المشهورة على ألسنة الناس .

حكم استثنائياً بنزح توفيق أحمد سالم الناجر بالعرب الأحمر بالقضية ن  
٢٦٧١ بجملة ٢٦ مارس سنة ١٩٤١ جنيها ليمه غما بأزب من التسيرة

في اللغة اللاتينية قد انقرض في اللغات المنضمة عنها .<sup>(١)</sup>

ووقوع الصوت الساكن ( ونمى به ما يقابل صوت المد  
في آخر الكلمة يجعله كذلك عرضة للتحول أو السقوط ، فمن  
ذلك ما حدث في اللغة العربية بصدد اللتوين ونون الأفعال  
التمزة والهمزة والماء المتطرفتين<sup>(٢)</sup> . فقد انقرضت هذه  
الأصوات في معظم لهجات العامية المنضمة عن العربية ،  
كما يظهر ذلك بالموازنة بين العبارات العربية المدونة في السطر  
الأول ونظائرها في عامية المصريين المدونة في السطر الثاني :

محمدٌ ولدٌ مطيعٌ ؛ الأولاد بيلعبون ، الهوا شديدٌ ؛ إنتظرتُه  
ساعةً كاملةً

محمدٌ ولدٌ مطيعٌ ؛ الأولاد بيلعبُ ؛ الهوا شديدٌ ،  
إنتظرتُ ساعاً كاملً

ومن هذا القبيل كذلك حذف آخر الكلمة التي يوقف  
عليها في عامية كثير من المناطق المصرية . كبعض مناطق  
بني سويف والشرقية ورشيد ، فيقال مثلاً : « إنت ياوَل » ؛  
بدلاً من « أنت يا ولد » ؛ « فين أخوك محو » بدلاً من « أين  
أخوك محمود » ؛ « إديلُ سخسارو » بدلاً من « أد له خمسة  
قروش »<sup>(٣)</sup>

وما حدث في اللغة العربية بهذا الصدد حدث مثله في كثير  
من اللغات الأخرى . فمعظم الأصوات الساكنة المختمة بها  
الكلمات اللاتينية قد انقرضت في النطق الفرنسي أو تحولت إلى  
أصوات ساكنة أخرى أضعف منها أو إلى أصوات لين<sup>(٤)</sup>

(ب) ووقوع الصوت في وسط الكلمة يرضه كذلك  
لكثير من صنوف التطور والانحراف . فمن ذلك ما حدث  
في اللغة العربية بصدد الهمزة الساكنة الواقعة في وسط الثلاثي ،  
فقد تحولت إلى ألف لينة في عامية المصريين وغيرهم ، ( فيقال :

- (١) يستثنى من ذلك الإيطالية ، فقد احتفظت بمظم هذه الأصوات  
( أنظر تفصيل هنا للوضوع بكتاني «علم اللغة» ص ٢٨٤ وتوابها )
- (٢) التاء للربوطة حكما في ذلك حكم الماء المتطرفة كما يظهر من  
النال للذكور فيما بعد .

(٣) سار على هذا الأسلوب كذلك بعض اللغات العربية النصيحة كلغة  
طبيء ، وقد جرت عادة اللواتين من العرب بتسيته «قطعة طبي» أي  
قطم اللفظ قبل تمامه . فكأن يقال مثلاً في لغتهم « يا أبا الحلك » بدلاً من  
« يا أبا الحكم » ولم يكن هنا مقصودنا على اللتادي بل كان عاماً في جميع  
الكلمات .

- (٤) أنظر تفصيل هذا الموضوع بكتاني «علم اللغة» ص ٢٨٦ ، ٢٨٧